

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ انْطَلَقُوا لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى
النَّحْوِ التَّالِي: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ
الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا
مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾²

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

وَمَنْ قَصَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آدَاءَ فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَخَرَجَ
مِنْ بَيْتِهِ مُسَافِرًا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ هُوَ أَوْلَى يَلْبَسُ ثِيَابَ
الْإِحْرَامِ بِجَسَدِهِ وَلِبَاسِ التَّقْوَى بِرُوحِهِ. وَهُوَ يَعِدُ بِأَنْ يَكُونَ
خَاضِعًا لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُطْلَقَةً وَبِأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ كُلِّ
ذَنْبٍ وَشَرٍّ وَفُجْحٍ كَامِلَةً. وَهُوَ يُلَبِّي تَلْبِيَةَ الْحَجِّ مُنْشِدًا
لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْتَلَفِينَ
أَلْوَانُهُمْ وَبِلَادُهُمْ وَالْمُتَّحِدِينَ عَلَى نَفْسِ الْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ.
وَيَقُولُ هَكَذَا: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»
³ وَيُخْبِرُنَا نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ
الْأَخْجَارَ وَالْأَشْجَارَ وَحَتَّى الْأَرْضَ تُرَافِقُ إِلَى صَوْتِ الْمُؤْمِنِ
الْمُلَبِّي. ⁴ وَأَنَّ جَوْقَةَ الْكُونِ الرَّائِعَةَ تَنْضَمُ إِلَى هَذَا دُعَاءِ
التَّلْبِيَةِ مَعَ الْحُجَّاجِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

يُبَشِّرُ نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ قَائِلًا:
«الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ
لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»⁵ وَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ كَامِلَةً
وَعَاشَ فِي رِحَابِهِ شَامِلَةً يَشْعُرُ هَذِهِ الْبِشَارَةَ فِي قَلْبِهِ. وَمَنْ
يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ إِلَى هَذِهِ الْبِشَارَةِ يَضَعُ إِلَى جَبَلِ عَرَفَاتٍ
وَيَتَدَرَّبُ هُنَالِكَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْقَرَارِ. يَبْدَأُ أَنَّ الْعَرَفَةَ هِيَ

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ
خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

...الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ.

«الْحَجُّ: رِحْلَةُ مُقَدَّسَةٌ»

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَكَذَا:
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
أَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾¹

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْحَجُّ
هُوَ مِنَ الْأَرْكَانِ الْأَسَاسِيَّةِ الْخَمْسَةِ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا
الْبِنَاءُ الْإِسْلَامِيُّ. نُسُكُ الْحَجِّ هُوَ عِبَارَةٌ مِنَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ
وَالطَّوَافِ بِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ
فِي الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَةِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ. الْحَجُّ هُوَ اجْتِمَاعٌ
عُمُومِيٌّ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَدِمُوا
فِي رِحْلَةِ مُبَارَكَةٍ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ إِلَى مَكَّةَ
الْمُكْرَمَةِ حَيْثُ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا كَانُوا فِي بِلَادِهِمْ يَتَّجِهُونَ هُنَا
فَبَلَّةَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ. يُخَاطَبُ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَى هَؤُلَاءِ

عِبَارَةٌ عَنِ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْوُصُولِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَمَحَاسَبَةِ النَّفْسِ قَبْلَ الْمَوْتِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الْحُجَّاجُ رُكْنَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ يَرْحَلُونَ إِلَى وَادِي الْمُرْدَلِفَةِ لَيْلًا، كَانَتْهُمْ سَيْلٌ عَارِمٌ الَّذِي يَتَدَفَّقُ مِنْ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ نَحْوَ مَجْرَى الْمُرْدَلِفَةِ. وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ يَنْتَقِلُونَ إِلَى مَوْقِعِ مَنَى لِرَمَى الْجَمَارِ. ذَلِكَ أَنَّ الْمُرْدَلِفَةَ هِيَ تُفِيدُ التَّوَعَّى مِنْ خِلَالِ الْوُقُوفِ مَرَّةً ثَانِيَةً عِنْدَ حُضُورِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّ رَمَى الْجَمَارِ فِي مَنَى هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّغَلُّبِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا بِكُلِّ أَشْكَالِهَا وَالتَّمَنَّى الْوُصُولَ فَقَطْ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَرْمِي الْحِجَارَةَ إِلَى الشَّيْطَانِ رَمْرًا فِي مَوْقِعِ الْجَمْرَاتِ، فِي الْوَأَقِعِ هُوَ يَرْجُمُ نَفْسَهُ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الذَّنْبِ مَعَ الشَّيْطَانِ وَكَذَلِكَ هُوَ يَرْجُمُ طُمُوحَهُ وَسُغُوفَهُ الَّتِي تَدْعُو إِلَى اسْتِمْتَاعِ بِمُتَعَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. وَبَعْدَمَا أَتَمَّ الْحَاجُّ وَظِيفَةَ رَمَى الْجَمَارِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ عِيدِ الْأَضْحَى يَتَّجُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَشْرِقَةِ لِيُؤَدِّيَ رُكْنَ زِيَارَةِ الطَّوَافِ. وَبَيْنَمَا يُوجِّهُ نَظْرَاتِهِ إِلَى أَوَّلِ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِنَاكَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ وَمَعَ هُوَ يُحَوِّلُ قَلْبَهُ إِلَى رَبِّ الْكَعْبَةِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَإِنَّ الْأَضْحِيَّةَ الْمَذْبُوحَةَ أَثْنَاءَ نُسُكِ الْحَجِّ هُوَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَمِنْ الْمَعْرُوفِ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَ الْهَدْيِ وَلَا دِمَاؤُهُ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

الْحَجُّ هُوَ نُقْطَةُ هَامَةٌ لِلْمُؤْمِنِ الَّتِي تُرْشِدُهُ إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ. وَمَنْ تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ هُوَ يَتَوَشَّحُ بِوَقَاءِ

سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِتَسْلِيمِيَّةِ سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِتَوَكُّلِ أُمِّنَا هَاجِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَيُنَاصِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُضْحِي بِرُوحِهِ مِثْلَهُمْ وَلَا يَتَنَزَّلُ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ. كُلُّ حَاجِّ الَّذِي أَتَبَعَ أَثَرَ أَقْدَامِ نَبِيِّنَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التُّرَابِ الْمُقَدَّسِ، هُوَ يَتَجَرَّعُ الصَّبْرَ وَيُؤَدِّي الشُّكْرَ وَيَشْعُرُ بِإِنْتِعَاشِ وَسَلَامَةِ مَعَا. وَمَنْ أَمْلَأَ خُرْجَهُ بِقُوَّةِ التَّقْوَى فِي هَذِهِ الرَّحَلَةِ الْمُقَدَّسَةِ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْكَلِمَاتِ السَّيِّئَةِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ السَّلْبِيَّةِ حَتَّى لَا تَسْتَهْلِكَ قُوَّتَهُ فِي الطَّرِيقِ. وَحِينَمَا يُؤَدِّي فَرِيضَةَ الْحَجِّ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَلَّا يُؤَدِّي أَبَدًا أَيَّ حَيٍّ وَلَا يَضُرَّ الطَّبِيعَةَ قَطًّا. وَيَجِبُ عَلَى الْحَاجِّ مُعَادَرَةَ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ خِلَالِ تَرْكِ كُلِّ جُرُومِهِ وَدُنُوبِهِ الَّتِي إِرْتَبَكَهَا حَتَّى ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي وَرَائِهِ وَيَنْبَغِي أَلَّا يَرْجِعَ إِلَى هَذِهِ الْأَخْطَاءِ مَرَّةً أُخْرَى فِي حَيَاتِهِ الْمُتَبَقِّيَّةِ.

وَبِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ، أَنَا أَتَمَّنِي لِكُلِّ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَيَسْتَعِدُّونَ لِرِحْلَةِ مُبَارَكَةٍ فِي الْأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ " حَجًّا مَبْرُورًا وَسَعِيًّا مَشْكُورًا وَذَنْبًا مَغْفُورًا بِإِذْنِ اللَّهِ " وَأَخْتَتُمْ خُطْبَتِي بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ لِنَبِيِّنَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفَدُ اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ

وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ عَفَرَ لَهُمْ»⁶

¹ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 96/3, 97

² سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 197/2

³ الْمُسْلِمُ، بَابُ الْحَجِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 19، 21

⁴ سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، بَابُ الْحَجِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 14

⁵ الْبُخَارِيُّ، بَابُ الْعُمْرَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 1

⁶ ابْنُ مَاجَةَ، بَابُ الْمَنَاسِكِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 5